تعامل النبي ﷺ مع النابغين

قد وجدَ من أصحابِ النبيِّ ﷺ الكثيرُ ممّن تميّزَ بالنبوغِ، والتفوّق، والنجابةِ.

فمنهم من كان نابغاً في الشّعر كحسّانَ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه.

ومنهم من كان نابغاً في الفقهِ والفهمِ كابنِ عباسٍ رضي الله عنهما.

ومنهم من كان نابغاً في القضاءِ بين الخصومِ كعليٍّ رضي الله عنه، ومعاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه.

ومنهم من كان نابغاً في القدرة على التعلّم واكتساب المهاراتِ كزيد بن ثابتٍ رضي الله عنه.

ومنهم من كان نابغاً في الحفظِ كأبي هريرة رضي الله عنه.

ومنهم من كان نابغاً في الحنكةِ العسكريّةِ كخالدِ بن الوليدِ رضي الله عنه.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يراعي هذه المواهبَ، والقدراتِ عندَ نجباءِ أصحابه رضوانُ الله عليهم.

ويتعاملُ مع أصحابها تعاملاً يتناسبُ مع قدراتهم، ونبوغهم.

فكان يكلّفُ كلَّ واحد منهم بما يتناسبُ وموهبته، والشيء الذي نبغَ فيه:

فكلّف حسّانَ بالردِّ على أعداءِ الإسلام في شعره:

عنْ عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: اهجوا قريشاً فإنّهُ أشدُّ عليها منْ رشقِ النّبلِ.

فأرسلَ إلى ابنِ رواحةَ، فقالَ: اهجهمْ، فهجاهمْ، فلمْ يرضِ.

فأرسلَ إلى كعبِ بنِ مالكٍ.

ثمَّ أرسلَ إلى حسّانَ بنِ ثابتٍ، فلمّا دخلَ عليهِ قالَ حسّانُ: قدْ آنَ لكمْ أنْ ترسلوا إلى هذا الأسدِ الضّاربِ بذنبهِ[١].

ثمَّ أدلعَ لسانهُ، فجعلَ يحرّكهُ، فقالَ: والّذي بعثكَ بالحقِّ لأفرينّهمْ بلساني فريَ الأديمِ[٢].

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا تعجلْ؛ فإنَّ أبا بكرٍ أعلمُ قريشٍ بأنسابها، وإنَّ لي فيهمْ نسباً حتّى يلخّصَ لكَ نسبي**».

فأتاهُ حسّانُ، ثمَّ رجعَ، فقالَ: يا رسولَ الله قدْ لخّصَ لي نسبكَ، والّذي بعثكَ بالحقِّ لأسلّنّكَ منهمْ كما تسلُّ الشّعرةُ منَ العجينِ.

قالتْ عائشةُ: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لحسّانَ: «**إنَّ روحَ القدسِ لا يزالُ يؤيّدكَ ما نافحتَ عنِ الله ورسوله**».

وقالتْ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**هجاهمْ حسّانُ، فشفى، واشتفى**»[٣].

قالَ حسّانُ:

هجوتَ محمّداً، فأجبتُ عنهُ ... وعندَ الله في ذاكَ الجزاءُ
هجوتَ محمّداً برّاً حنيفاً ... رسولَ الله شيمتهُ الوفاءُ
فإنَّ أبي، ووالدهُ، وعرضي ... لعرضِ محمّدٍ منكمْ وقاءُ
ثكلتُ بنيّتي إنْ لمْ تروها ... تثيرُ النّقعَ منْ كنفيْ كداءِ
يباريـنَ الأعنّةَ مصعداتٍ ... على أكتافها الأسلُ الظّماءُ
تظلُّ جيادنا متمطّراتٍ ... تلطّمهنَّ بالخمرِ النّساءُ
فإنْ أعرضتمُ عنّا اعتمرنا ... وكانَ الفتحُ، وانكشفَ الغطاءُ

---

(١) المراد بذنبهِ هنا لسانه، فشبّهَ نفسه بالأسدِ في انتقامه وبطشه إذا اغتاظَ، وحينئذٍ يضربُ بذنبهِ جنبيهِ كما فعلَ حسّان بلسانهِ حينَ أدلعهُ، فجعلَ يحرّكهُ، فشبّهَ نفسهُ بالأسدِ، ولسانهُ بذنبهِ. شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ٤٩].

(٢) أيْ: لأمزّقنَّ أعراضهمْ تمزيق الجلد. شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ٤٩].

(٣) أيْ: شفى المؤمنيَن، واشتفى هوَ بما نالهُ منْ أعراض الكفّار، ومزّقها، ونافحَ عنِ الإسلام والمسلميَن. شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ٤٩].

وإلّا فاصبروا لضرابِ يومٍ ... يعزُّ اللهُ فيهِ منْ يشاءُ
وقالَ اللهُ قدْ أرسلتُ عبداً ... يقولُ الحقَّ ليسَ بهِ خفاءُ
وقالَ اللهُ قدْ يسّرتُ جنداً ... همُ الأنصارُ عرضتها اللّقاءُ
لنا في كلِّ يومٍ منْ معدٍّ ... سبابٌ، أوْ قتالٌ، أوْ هجاءُ
فمنْ يهجو رسولَ اللهِ منكمْ ... ويمدحهُ، وينصرهُ، سواءُ
وجبريلٌ رسولُ اللهِ فينا ... وروحُ القدسِ ليسَ لهُ كفاءُ

وعنِ البراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ النّبيُّ ﷺ لحسّانَ: «**اهجهمْ، وجبريلُ معكَ**»[(١)].

وعنْ سعيدِ بنِ المسيّبِ قالَ: مرَّ عمرُ في المسجدِ، وحسّانُ ينشدُ، فقالَ: كنتُ أنشدُ فيهِ، وفيهِ منْ هوَ خيرٌ منكَ.

ثمَّ التفتَ إلى أبي هريرةَ، فقالَ: أنشدكَ باللهِ أسمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**أجبْ عنّي، اللهمَّ أيّدهُ بروحِ القدسِ**».

قالَ: نعمْ[(٢)].

من فوائد الحديث:

فيهِ: جوازُ إنشادِ الشّعرِ في المسجدِ إذا كانَ مباحاً، واستحبابه إذا كانَ في ممادحِ الإسلامِ وأهلهِ، أوْ في هجاءِ الكفّارِ، والتّحريضِ على قتالهمْ، أوْ تحقيرهمْ، ونحو ذلكَ، وهكذا كانَ شعرُ حسّانَ.

وفيهِ: استحبابُ الدّعاءِ لمنْ قالَ شعراً منْ هذا النّوعِ[(٣)].

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النّبيَّ ﷺ دخلَ مكّةَ في عمرةِ القضاءِ، وعبدُ اللهِ بنُ رواحةَ بينَ يديهِ يمشي، وهوَ يقولُ:

---

(١) رواه البخاري [٣٢١٣]، ومسلم [٢٤٨٦].
(٢) رواه البخاري [٣٢١٢]، ومسلم [٢٤٨٥].
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ٤٦].

خلّوا بني الكفّارِ عـنْ سبيلهِ اليـومَ نضربكمْ على تنزيلهِ
ضرباً يزيلُ الهامَ عـنْ مقيلهِ ويـذهـلُ الخليلَ عـنْ خليلهِ

فقالَ لهُ عمرُ: يا ابنَ رواحةَ بينَ يديْ رسولِ الله ﷺ، وفي حرمِ الله تقولُ الشّعرَ!.

فقالَ لهُ النّبيُّ ﷺ: «**خلِّ عنهُ يا عمرُ، فلهيَ أسرعُ فيهمْ منْ نضحِ النّبلِ**»(١).

وكلّف زيدَ بن ثابتٍ بتعلّم لغة اليهود:

عـنْ خارجـةَ بنِ زيـدٍ أنَّ أباهُ زيدَ بن ثابت أخـبرهُ أنّهُ لّما قدمَ النّبـيُّ ﷺ المدينةَ. قالَ زيدٌ: ذهبَ بي إلى النّبيِّ ﷺ، فأعجبَ بي.

فقالوا: يا رسولَ الله، هذا غلامٌ منْ بني النّجّارِ معهُ ممّا أنزلَ الله عليكَ بضعَ عشرةَ سورةً.

فاستقرأني، فقرأتُ (ق). فأعجبَ ذلكَ النّبيَّ ﷺ.

وقالَ: «**يا زيدُ، تعلّمْ لي كتابَ يهودَ، فإنّي والله ما آمنُ يهودَ على كتابي**»(٢).

قالَ زيدٌ: فتعلّمتُ كتابهمْ ما مرّتْ بي خمسَ عشرةَ ليلةً حتّى حذقتهُ(٣).

فكنتُ أكتبُ لهُ إذا كتبَ، وأقرأُ لهُ إذا كتبَ إليهِ(٤).

وهذا التعلّم السريعُ يدلُّ على ذكاءٍ، وفطنةٍ عجيبةٍ، خاصّةً مع صغر سنه.

ولذلـك قـال الذهبيُّ عنه: «وقد قتلَ أبـوهُ قبلَ الهجرةِ يوم بعاثٍ، فـربّيَ زيدٌ يتيماً، وكان أحدَ الأذكياءِ»(٥).

---

(١) رواه الترمذي [٢٨٤٧]، والنسائي [٢٨٧٣]، وصححه الألباني في مختصر الشمائل [٢١٠].

(٢) أيْ: لا في قراءتـهِ، ولا في كتابتـهِ، فأخـافُ إنْ أمرت يهوديّاً بأنْ يكتبَ منّي كتاباً إلى اليهودِ أنْ يزيدَ فيهِ أوْ ينقصَ، وأخافُ إنْ جاءَ كتابٌ منَ اليهودِ، فيقرأهُ يهوديٌّ، فيزيدَ وينقصَ فيهِ. تحفة الأحوذي [٧/ ٤١٣].

(٣) أيْ: عرفته، وأتقنته، وعلمته. عون المعبود [١٠/ ٥٦].

(٤) رواه الترمذي [٢٧١٥]، وأبو داود [٣٦٤٥]، وعلّقه البخاري في كتاب الأحكام من صحيحه بصيغة الجزم، وصحّحه الألباني في تحقيق المشكاة [٤٦٥٩].

(٥) سير أعلام النبلاء [٢/ ٤٢٧].

وقال ابنُ كثير: «وقد كانَ زيدُ بنُ ثابتٍ من أشدِّ الناس ذكاءً، تعلّمَ لسانَ يهود، وكتابهم في خمسةَ عشر يوماً... وتعلّم الفارسيّة من رسولِ كسرى في ثمانيةَ عشرَ يوماً، وتعلّمَ الحبشيّةَ، والروميّةَ، والقبطيّة من خدّام رسول الله ﷺ»(١).

ولذلك جعله النبيُّ ﷺ من كتّاب الوحي: عنِ البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما قالَ: لمّا نزلتْ: (لا يستوي القاعدونَ منَ المؤمنينَ والمجاهدونَ في سبيلِ الله).

قالَ النّبيُّ ﷺ: «**ادعُ لي زيداً، وليجئْ باللّوحِ، والدّواةِ، والكتفِ، أوِ الكتفِ والدّواةِ**».

ثـمَّ قالَ: «**اكتبْ**»: (لا يستوي القاعدونَ)، وخلفَ ظهرِ النّبيِّ ﷺ عمرو بنُ أمِّ مكتومٍ الأعمى قالَ: يا رسولَ الله، فما تأمرني؛ فإنّي رجلٌ ضريرُ البصرِ؟

فنزلتْ مكانها: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥](٢).

ولهذه الصفات التي تمتّع بها زيد اختاره الصدّيقُ لجمع القرآن.

قال رضي الله عنه: أرسلَ إليَّ أبو بكرٍ مقتلَ أهلِ اليمامةِ، وعندهُ عمرُ، فقالَ أبو بكرٍ: إنَّ عمرَ أتاني فقالَ: إنَّ القتلَ قدِ استحرَّ يومَ اليمامةِ بالنّاسِ، وإنّي أخشى أنْ يستحرَّ القتلُ بالقرّاءِ في المواطنِ، فيذهبَ كثيرٌ منَ القرآنِ إلّا أنْ تجمعوهُ، وإنّي لأرى أنْ تجمعَ القرآنَ.

قالَ أبو بكرٍ: قلتُ لعمرَ: كيفَ أفعلُ شيئاً لمْ يفعلهُ رسولُ الله ﷺ؟

فقالَ عمرُ: هوَ والله خيرٌ.

فلمْ يزلْ عمرُ يراجعني فيهِ حتّى شرحَ الله لذلكَ صدري، ورأيتُ الّذي رأى عمرُ.

قالَ زيدُ بنُ ثابتٍ: وعمرُ عندهُ جالسٌ لا يتكلّمُ، فقالَ أبو بكرٍ: إنّكَ رجلٌ شابٌّ عاقلٌ، ولا نتّهمكَ، كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ الله ﷺ، فتتبّعِ القرآنَ فاجمعهُ.

قال زيد: فوالله لوْ كلّفني نقلَ جبلٍ منَ الجبالِ ما كانَ أثقلَ عليَّ ممّا أمرني بهِ منْ جمعِ القرآنِ.

---

(١) البداية والنهاية [٨ / ٣٣].

(٢) رواه البخاري [٤٩٩٠]، ومسلم [١٨٩٨].

قلتُ: كيفَ تفعلانِ شيئاً لمْ يفعلهُ النّبيُّ ﷺ؟

فقالَ أبو بكرٍ: هوَ واللهِ خيرٌ. فلمْ أزلْ أراجعهُ حتّى شرحَ اللهُ صدري للّذي شرحَ اللهُ لهُ صدرَ أبي بكرٍ وعمرَ، فقمتُ، فتتبّعتُ القرآنَ أجمعهُ منَ الرّقاعِ، والأكتافِ، والعسبِ، وصدورِ الرّجالِ...الحديث[١].

فائدة:

عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «أعظمُ النّاسِ أجراً في المصاحفِ أبو بكرٍ، رحمةُ اللهِ على أبي بكرٍ، هوَ أوّلُ منْ جمعَ بينَ اللّوحينِ»[٢].

وهذا يدلُّ على حبِّ عليٍّ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واحترامه له، واعترافه بإمامته بخلاف ما تزعمه الرّوافضُ الكذّابونَ.

وكلّف معاذَ بن جبل بأن يكون قاضياً على أهل اليمن:

لنبوغ معاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معرفةِ الحلالِ والحرامِ ولّاه رسول الله ﷺ القضاءَ على أهلِ اليمنِ.

عنِ الأسودِ بنِ يزيدَ قالَ: أتانا معاذُ بنُ جبلٍ باليمنِ معلّماً وأميراً، فسألناهُ عنْ رجلٍ توفّيَ، وتركَ ابنتهُ، وأختهُ، فأعطى الابنةَ النّصفَ، والأختَ النّصفَ[٣].

وعنْ أناسٍ منْ أهلِ حمصَ منْ أصحابِ معاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ لمّا أرادَ أنْ يبعثَ معاذاً إلى اليمنِ قالَ: «**كيفَ تقضي إذا عرضَ لكَ قضاءٌ؟**».

قالَ: أقضي بكتابِ الله.

قالَ: «**فإنْ لمْ تجدْ في كتابِ اللهِ؟**».

قالَ: فبسنّةِ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري [٤٦٧٩].

(٢) رواه أبو بكر بن أبي داود في المصاحف [١/ ٤٩]، وحسنه ابن حجر في فتح الباري [٩/ ١٢].

(٣) رواه البخاري [٦٧٣٤].

قالَ: «**فإنْ لمْ تجدْ في سنّةِ رسولِ الله ﷺ، ولا في كتابِ اللهِ؟**».

قالَ: أجتهدُ رأيي، ولا آلو.

فضربَ رسولُ الله ﷺ صدرهُ، وقالَ: «**الحمدُ للهِ الّذي وفّقَ رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله**»(١).

وأرسل مصعبَ بن عميرٍ إلى المدينةِ للدعوة:

فاختار مصعب بن عمير معلّماً إلى المدينةِ، وليكون أوّلَ سفيرٍ له، يعلّمُ المسلمين مبادئ الدينِ، وتعاليم الإسلام، ويقرئهم القرآن الكريم، ويدعو إلى صراط الله العزيزِ الحميدِ؛ ولذلك سمّوهُ بالمقرئِ(٢).

وبهذا يعلمُ أنَّ المدينة فتحتْ بالقرآن، وليس بالسيفِ.

عن البراءَ بنَ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أوّلُ منْ قدمَ علينا مصعبُ بنُ عميرٍ، وابنُ أمِّ مكتومٍ، وكانا يقرئانِ النّاسَ..الحديث(٣).

وكان ﷺ يختارُ النّجباء؛ لتكليفهم بالمهمّات الصعبة:

فكلّفَ عليّاً بالمبيتِ في فراشه ليلةَ الهجرةِ: فعندما اجتمعتْ قريشٌ في دار النّدوةِ، وأجمعوا على قتل النبيِّ ﷺ، والتخلّص منه؛ أوحى الله تعالى لنبيّه ﷺ بذلك.

فأمر عليَّ بن أبي طالب أن ينامَ في فراشه تلكَ الليلةَ، والأعداءُ قد أحاطوا بالبيتِ

---

(١) رواه أبو داود [٣٥٩٢]، والترمذي [١٣٢٧]، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين [١/ ١٥٥]، وقال ابن كثير: «هو حديث حسن مشهورٌ اعتمد عليه أئمةُ الإسلام في إثباتِ أصل القياس»، وضعّفه البخاري، والترمذي، وقالَ ابنُ الجوزيُّ: «لا يصحُّ، وإنْ كانَ الفقهاءُ كلّهمْ يذكرونهُ في كتبهمْ، ويعتمدونَ عليهِ، وإنْ كانَ معناهُ صحيحاً»، وقال الألباني: «منكر».
ينظر: التلخيص الحبير [٤/ ٤٤٧]، العلل المتناهية [٢/ ٢٧٣]، تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب [١/ ١٢٥]، فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار [٤/ ٢٠٥٧]، الضعيفة [٨٨١].

(٢) ينظرُ: السيرة النبوية [١/ ٤٣٤] لابن هشام.

(٣) رواه البخاري [٣٩٢٥].

يتربّصون به؛ ليقتلوه، فنامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فراشِ رسولِ الله ﷺ، وهو يعلمُ الأخطارَ التي تكتنفه، وأنَّ الأعداءَ لا يفرّقون بينه وبينَ رسولِ الله ﷺ في مضجعه، فلربّما يقتلونه ظنّاً منهم أنّهُ رسولُ الله ﷺ[1].

ولا يقدمُ على ذلكَ إلا أبطالُ الرّجالِ، وشجعانهم؛ ولهذا وقع اختيارُ رسول الله ﷺ لهذه المهمة الشاقّة على عليِّ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكلّفه بهذه المغامرة عن معرفةٍ، ودرايةٍ لمواهبه، وقدراته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك اختارَ رسولُ الله ﷺ عليّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم خيبرَ؛ لحمل الرايةِ.

واختار يوم الأحزاب حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ليدخل بين صفوف الأعداء، ويأتي بخبرهم.

عنْ إبراهيمَ التّيميِّ عنْ أبيهِ قالَ: كنّا عندَ حذيفةَ، فقالَ رجلٌ: يا أبا عبدِ اللهِ، رأيتمْ رسولَ الله ﷺ، وصحبتموهُ؟.

قالَ: نعمْ يا ابنَ أخي.

قالَ: والله لوْ أدركناهُ ما تركناهُ يمشي على الأرضِ، ولجعلناهُ على أعناقنا، ولقاتلتُ معهُ، وأبليتُ.

فقالَ حذيفةُ: أنتَ كنتَ تفعلُ ذلكَ! والله لقدْ رأيتنا معَ رسولِ الله ﷺ بالخندقِ، وأخذتنا ريحٌ شديدةٌ وقرٌّ[2]، فصلّى رسولُ الله ﷺ منَ اللّيلِ هويّاً، ثمَّ التفتَ إلينا، فقالَ: «**ألا رجلٌ يأتيني بخبرِ القومِ، جعلهُ الله معي يومَ القيامةِ**».

فسكتنا، فلمْ يجبهُ منّا أحدٌ.

ثمَّ صلّى رسولُ الله ﷺ هويّاً منَ اللّيلِ، ثمَّ التفتَ إلينا، فقالَ: «**ألا رجلٌ يأتينا بخبرِ القومِ، جعلهُ الله معي يومَ القيامةِ؟**».

---

(١) ينظر: السيرة النبوية [١/ ٤٨٢] لابن هشام.

(٢) القر: البرد.

فسكتنا، فلمْ يجبهُ منّا أحدٌ.

ثمَّ قالَ: «**ألا رجلٌ يأتينا بخبرِ القومِ، جعلهُ الله معي يومَ القيامةِ؟**».

فسكتنا، فلمْ يجبهُ منّا أحدٌ، معَ شدّةِ الخوفِ، وشدّةِ الجوعِ، وشدّةِ البردِ.

فقالَ: «**قمْ يا حذيفةُ، فأتنا بخبرِ القومِ**».

فلمْ أجدْ بدّاً إذْ دعاني باسمي أنْ أقومَ.

قالَ: يا حذيفةُ، اذهبْ، فادخلْ في القومِ، فانظرْ ما يفعلونَ، ولا تحدثنَّ شيئاً حتّى تأتينا.

فلمّا ولّيتُ منْ عندهِ، جعلتُ كأنّما أمشي في حمّامٍ حتّى أتيتهمْ.

فدخلتُ في القومِ، والرّيحُ وجنودُ الله تفعلُ ما تفعلُ، لا تقرُّ لهمْ قدرٌ، ولا نارٌ، ولا بناءٌ.

فقامَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ، فقالَ: يا معشرَ قريشٍ، لينظرْ امرؤٌ منْ جليسهُ.

فقالَ حذيفةُ: فأخذتُ بيدِ الرّجلِ الّذي إلى جنبي، فقلتُ: منْ أنتَ؟.

قالَ: أنا فلانُ بنُ فلانٍ.

ثمَّ قالَ أبو سفيانَ: يا معشرَ قريشٍ، إنّكمْ والله ما أصبحتمْ بدارِ مقامٍ، لقدْ هلكَ الكراعُ، وأخلفتنا بنو قريظةَ، بلغنا منهمْ الّذي نكرهُ، ولقينا منْ هذهِ الرّيحِ ما ترونَ، والله ما تطمئنُّ لنا قدرٌ، ولا تقومُ لنا نارٌ، ولا يستمسكُ لنا بناءٌ، فارتحلوا؛ فإنّي مرتحلٌ.

ثمَّ قامَ إلى جملهِ وهوَ معقولٌ، فجلسَ عليهِ، ثمَّ ضربهُ، فوثبَ على ثلاثٍ، فما أطلقَ عقالهُ إلّا وهوَ قائمٌ.

فوضعتُ سهماً في كبدِ القوسِ، فأردتُ أنْ أرميهُ، فذكرتُ قولَ رسولِ الله ﷺ: «**لا تحدثْ شيئاً حتّى تأتيني**»، ولوْ رميتهُ لأصبتهُ.

قالَ حذيفةُ: ثمَّ رجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ، وأنا أمشي في مثلِ الحمّامِ.

فلمّا أتيتهُ، فأخبرتهُ بخبرِ القومِ، وفرغتُ، قررتُ. [أيْ: بردت].

فألبسني رسولُ الله ﷺ من فضلِ عباءةٍ كانتْ عليهِ يصلّي فيها، فلمْ أزلْ نائماً حتّى أصبحتُ.

فلمّا أصبحتُ قالَ: «**قمْ يا نومانُ**»[١].

قوله: «جعلتُ كأنّما أمشي في حمّامٍ حتّى أتيتهمْ». يعني: أنّهُ لمْ يجد البردَ الّذي يجدهُ النّاس، ولا منْ تلكَ الرّيحِ الشّديدةِ شيئاً؛ بلْ عافاهُ الله منهُ ببركةِ إجابته للنّبيِّ ﷺ، وذهابه فيما وجّههُ لهُ، ودعائهِ ﷺ لهُ.

واستمرَّ ذلكَ اللّطفُ بهِ، ومعافاته منَ البرد حتّى عادَ إلى النّبيِّ ﷺ، فلمّا رجعَ، ووصلَ عادَ إليهِ البردُ الّذي يجدهُ النّاس، وهذهِ منْ معجزاتِ رسولِ الله ﷺ.

ولفظة الحمّام عربيّة، وهوَ مذكّر مشتقّ منْ الحميم، وهوَ: الماء الحارّ[٢].

«فكانَ اختيارُ حذيفةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذه المهمّةِ الشاقّةِ والخطيرةِ، وفي ذلك الجوِّ المتأزّم، شديدِ البلاء، عظيمِ المحنِ، كان اختياراً عن علمٍ من رسول الله ﷺ بقدراتِ، ومواهبِ حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقد اجتمعتْ فيه صفاتُ الفدائيِّ المغامرِ العليمِ بمهمّته، ودخل بينَ الأحزابِ في شدّةِ الظلامِ، وشدّةِ البردِ دخولَ الفدائيِّ الذي تكتنفه المخاطرُ من جميعِ الجهاتِ، وهو لا يبالي، فكان ثابتَ اليقينِ، راسخَ الإيمانِ، زكيَّ الفؤاد، متماسك الشخصيّة، خبيراً في تصريفِ الأمورِ إذا تأزّمتْ، سريعَ البادرةِ»[٣].

وكان ﷺ يظهرُ ويبيّنُ مكانتهم بين أصحابه:

عنْ أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذَ سيفاً يومَ أحدٍ، فقالَ: «**منْ يأخذُ منّي هذا؟**».

---

(١) رواه مسلم [١٧٨٨]، وأحمد [٢٢٨٢٣]، وهذا السياق مجموعٌ من روايتيهما.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٤٦].

(٣) محمد رسول الله [٤/ ١٩٧] لمحمد صادق عرجون، بتصرف يسير.

فبسطوا أيديهمْ كلُّ إنسانٍ منهمْ يقولُ: أنا أنا.

قالَ: «**فمنْ يأخذهُ بحقّهِ؟**».

فأحجمَ القومُ.

فقالَ سماكُ بنُ خرشةَ أبو دجانةَ: أنا آخذهُ بحقّهِ.

فأخذهُ، ففلقَ بهِ هامَ المشركينَ[1].

وكان ﷺ يثني عليهم بما فيه من الصّفات المتميزة:

عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:

«**أرحمُ أمّتي بأمّتي أبو بكرٍ.**

وأشدّهمْ في دينِ الله عمرُ.

وأصدقهمْ حياءً عثمانُ.

وأقضاهمْ عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

وأقرؤهمْ لكتابِ الله أبيُّ بنُ كعبٍ.

وأعلمهمْ بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ.

وأفرضهمْ زيدُ بنُ ثابتٍ.

ألا وإنَّ لكلِّ أمّةٍ أميناً، وأمينُ هذهِ الأمّةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاحِ»[2].

ومن ذلك ثناؤه على سلمةَ بنِ الأكوعِ على ما قام به:

عن سلمةَ بنِ الأكوعِ رضي الله عنه قال: قدمنا الحديبيةَ معَ رسولِ الله ﷺ، ونحنُ أربعَ عشرةَ مائةً، وعليها خمسونَ شاةً لا ترويها.

---

(١) رواه مسلم [٢٤٧٠].

(٢) رواه الترمذي [٣٧٩١]، وابن ماجة [١٥٥]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٨٩٥].

فقعدَ رسولُ الله ﷺ على جبا الرّكيّةِ[١]، فإمّا دعا، وإمّا بصقَ فيها، فجاشتْ فسقينا، واستقينا.

ثمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ دعانا للبيعةِ في أصلِ الشّجرةِ.

فبايعتهُ أوّلَ النّاسِ، ثمَّ بايع، وبايعَ.

حتّى إذا كانَ في وسطٍ منَ النّاسِ قالَ: «**بايعْ يا سلمةُ**».

قلتُ: قدْ بايعتكَ يا رسولَ الله في أوّلِ النّاسِ.

قالَ: «**وأيضاً**».

قالَ: ورآني رسولُ الله ﷺ عزلاً - يعني بغير سلاح - فأعطاني رسولُ الله ﷺ حجفةً أوْ درقةً[٢].

ثمَّ بايعَ حتّى إذا كانَ في آخرِ النّاسِ قالَ: «**ألا تبايعني يا سلمةُ؟**».

قلتُ: قدْ بايعتكَ يا رسولَ الله في أوّلِ النّاسِ، وفي أوسطِ النّاسِ.

قالَ: «**وأيضاً**».

فبايعتهُ الثّالثةَ[٣].

ثمَّ قالَ لي: «**يا سلمةُ أينَ حجفتكَ، أوْ درقتكَ الّتي أعطيتكَ؟**».

قلتُ: يا رسولَ الله لقيني عمّي عامرٌ عزلاً، فأعطيتهُ إيّاها.

فضحكَ رسولُ الله ﷺ، وقالَ: «**إنّكَ كالّذي قالَ الأوّلُ: اللهمَّ أبغني حبيباً هوَ أحبُّ إليَّ منْ نفسي**».

---

(١) الجبا: هيَ ما حول البئر، وأمّا الرّكيّ: فهوَ البئر. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٧٥]

(٢) هما شبيهتانِ بالترّسِ.

(٣) قالَ ابن المنير: الحكمة في تكراره البيعة لسلمة أنّهُ كانَ مقداماً في الحرب، فأكّد عليهِ العقد احتياطاً. قال ابن حجر: أوْ لأنّهُ كانَ يقاتل قتال الفارس والرّاجل فتعدّدتْ البيعة بتعدّدِ الصّفة. فتح الباري [٦/ ١١٩].

ثمَّ إنَّ المشركينَ راسلونا الصّلحَ، حتّى مشى بعضنا في بعضٍ واصطلحنا.

فلـمّا اصطلحنـا نحـنُ وأهـلُ مكّـةَ، واختلطَ بعضنـا ببعضٍ، أتيتُ شـجرةً، فكسـحتُ شوكها[1]، فاضطجعتُ في أصلها.

فأتـاني أربعةٌ منَ المشركينَ منْ أهلِ مكّةَ، فجعلوا يقعونَ في رسـولِ الله ﷺ، فأبغضتهمْ، فتحوّلتُ إلى شجرةٍ أخرى.

وعلّقوا سلاحهمْ، واضطجعوا.

فبينما همْ كذلكَ إذْ نادى منادٍ منْ أسفلِ الوادي: يا للمهاجرينَ قتلَ ابنُ زنيمٍ.

فاخترطتُ سـيفي، ثمَّ شـددتُ عـلى أولئـكَ الأربعةِ وهمْ رقـودٌ، فأخذتُ سـلاحهمْ، فجعلتهُ ضغثاً في يدي[2].

ثمَّ قلتُ: والّذي كرّمَ وجهَ محمّدٍ لا يرفعُ أحدٌ منكمْ رأسهُ إلّا ضربتُ الّذي فيهِ عيناهُ.

ثمَّ جئتُ بهمْ أسوقهمْ إلى رسولِ الله ﷺ.

وجـاءَ عمّـي عامرٌ برجـلٍ منَ العبلاتِ[3] يقـالُ لهُ مكرزٌ، يقودهُ إلى رسـولِ الله ﷺ على فرسٍ مجفّفٍ في سبعينَ منَ المشركينَ[4].

فنظرَ إليهمْ رسولُ الله ﷺ فقالَ: «**دعوهمْ، يكنْ لهمْ بدءُ الفجورِ وثناهُ**».

فعفـا عنهـمْ رسـولُ الله ﷺ، وأنـزلَ الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] الآيةَ كلّها.

---

(١) أيْ: كنست ما تحتها منَ الشّوك.

(٢) الضّغث: الحزمة.

(٣) العبلات: منْ قريش، همْ أميّة الأصغر وأخواهُ نوفل وعبد الله بن شمس بن عبد منافٍ نسبوا إلى أمّ لهمْ منْ بني تميم اسمها: عبلة بنت عبيد.
شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٧٧].

(٤) أيْ: عليهِ تجفافٍ، وهوَ ثوب يلبسهُ الفرس ليقيهُ منَ السّلاح. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٧٧].

ثمَّ خرجنا راجعينَ إلى المدينةِ، فنزلنا منزلاً بيننا وبينَ بني لحيانَ جبلٌ، وهمُ المشركونَ.

فاستغفرَ رسولُ الله ﷺ لمنْ رقيَ هذا الجبلَ اللّيلةَ، كأنّهُ طليعةٌ للنّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ.

قالَ سلمةُ: فرقيتُ تلكَ اللّيلةَ مرّتينِ، أوْ ثلاثاً.

ثمَّ قدمنا المدينةَ.

فبعثَ رسولُ الله ﷺ بظهرِهِ معَ رباحٍ غلامِ رسولِ الله ﷺ، وأنا معهُ.

وخرجتُ معهُ بفرسِ طلحةَ أندّيهِ معَ الظّهرِ[1]، فلمّا أصبحنا إذا عبدُ الرّحمنِ الفزاريُّ قدْ أغارَ على ظهرِ رسولِ الله ﷺ، فاستاقهُ أجمعَ، وقتلَ راعيهُ.

فقلتُ: يا رباحُ خذْ هذا الفرسَ، فأبلغهُ طلحةَ بنَ عبيدِ الله، وأخبرْ رسولَ الله ﷺ أنَّ المشركينَ قدْ أغاروا على سرحِهِ.

ثمَّ قمتُ على أكمةٍ، فاستقبلتُ المدينةَ، فصرختُ ثلاثَ صرخاتٍ أسمعتُ ما بينَ لابتيها: يا صباحاهْ[2]، يا صباحاهْ.

ثمَّ خرجتُ في آثارِ القومِ أرميهمْ بالنّبلِ وأرتجزُ أقولُ:

أنا ابنُ الأكوعِ والـيومُ يومُ الرّضّعِ[3]

فألحقُ رجلاً منهمْ، فأصكُّ سهماً في رحلِهِ، حتّى خلصَ نصلُ السّهمِ إلى كتفِهِ.

قال: قلتُ:

---

(١) ومعناهُ: أنْ يورد الماشية الماء فتسقى قليلًا، ثمَّ ترسل في المرعى، ثمَّ ترد الماء فترد قليلًا، ثمَّ تردّ إلى المرعى. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٧٧].

(٢) هيَ كلمة تقال عند استنفارِ منْ كانَ غافلًا عنْ عدوّهِ، وكانتْ عادتهمْ يغيرونَ في وقت الصّباح، فكأنّهُ قالَ: تأهّبوا لما دهمكمْ صباحاً.

وفيهِ إشعارٌ بأنّهُ كانَ واسع الصّوت جدّاً، ويحتمل أنْ يكون ذلكَ منْ خوارق العاداتِ. فتح الباري [٧/ ٤٦١].

(٣) الرّضّع: المراد بهمْ اللّئام أيْ: اليوم يوم هلاك اللّئام، والأصل فيهِ أنَّ شخصاً كانَ شديد البخل، فكانَ إذا أرادَ حلبَ ناقتهِ ارتضعَ منْ ثديها لئلّا يحلبها فيسمعُ جيرانهُ أوْ منْ يمرُّ بهِ صوتَ الحلبِ فيطلبونَ منهُ اللّبن، فقيلَ ذلك لكلِّ لئيمٍ. فتح الباري [٧/ ٤٦٢].

خـذهـا وأنـا ابـنُ الأكـوعِ والـيـومُ يـومُ الـرّضّـعِ

فـوالله مـا زلـتُ أرميهمْ، وأعقـرُ بهمْ، فإذا رجـعَ إليَّ فارسٌ أتيتُ شـجرةً، فجلسـتُ في أصلهـا، ثـمَّ رميتهُ، فعقـرتُ بهِ، حتّى إذا تضايـقَ الجبلُ، فدخلوا في تضايقـهِ علوتُ الجبلَ، فجعلتُ أردّيهمْ بالحجارةِ.

فما زلتُ كذلكَ أتبعهمْ حتّى ما خلقَ الله منْ بعيرٍ منْ ظهرِ رسولِ الله ﷺ إلّا خلّفتهُ وراءَ ظهري، وخلّوا بيني وبينهُ.

ثمَّ اتّبعتهمْ أرميهمْ، حتّى ألقوا أكثرَ منْ ثلاثينَ بردةً، وثلاثينَ رمحاً، يستخفّونَ.

ولا يطرحونَ شيئاً إلّا جعلتُ عليهِ آراماً[1] منَ الحجارةِ يعرفها رسولُ الله ﷺ وأصحابهُ.

حتّى أتوا متضايقاً منْ ثنيّةٍ، فإذا همْ قدْ أتاهمْ فلانُ بنُ بدرٍ الفزاريُّ، فجلسوا يتضحّونَ يعني: يتغدّونَ.

وجلستُ على رأسِ قرنٍ[2].

قالَ الفزاريُّ: ما هذا الّذي أرى؟

قالـوا: لقينـا مـنْ هذا البرحَ [3]، والله مـا فارقنا منذُ غلسٍ يرمينا حتّـى انتزعَ كلَّ شيءٍ في أيدينا.

قالَ: فليقمْ إليهِ نفرٌ منكمْ أربعةٌ.

فصعدَ إليَّ منهمْ أربعةٌ في الجبلِ.

فلمّا أمكنوني منَ الكلامِ قلتُ: هلْ تعرفوني؟

قالوا: لا، ومنْ أنتَ؟

---

(١) آرام: هيَ الأعلام، وهيَ حجارة تجمع وتنصب في المفازة، يهتدى بها. النهاية [١/ ٤٠].

(٢) جبيل صغيّر. النهاية [٤/ ٥٤].

(٣) أيْ: شدّة.

قلتُ: أنا سلمةُ بنُ الأكوعِ، والّذي كرّمَ وجهَ محمّدٍ ﷺ لا أطلبُ رجلاً منكمْ إلّا أدركتهُ، ولا يطلبني رجلٌ منكمْ فيدركني.

قالَ أحدهمْ: أنا أظنُّ.

فرجعوا، فما برحتُ مكاني حتّى رأيتُ فوارسَ رسولِ الله ﷺ يتخلّلونَ الشّجرَ، فإذا أوّلهمْ الأخرمُ الأسديُّ على إثرِهِ أبو قتادةَ الأنصاريُّ، وعلى إثرِهِ المقدادُ بنُ الأسودِ الكنديُّ.

فأخذتُ بعنانِ الأخرمِ، فولّوا مدبرينَ.

قلتُ: يا أخرمُ احذرهمْ لا يقتطعوكَ حتّى يلحقَ رسولُ الله ﷺ، وأصحابهُ.

قالَ: يا سلمةُ إنْ كنتَ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وتعلمُ أنَّ الجنّةَ حقٌّ، والنّارَ حقٌّ، فلا تحلْ بيني وبينَ الشّهادةِ.

فخلّيتهُ، فالتقى هوَ وعبدُ الرّحمنِ، فعقرَ بعبدِ الرّحمنِ فرسهُ، وطعنهُ عبدُ الرّحمنِ، فقتلهُ، وتحوّلَ على فرسهِ.

ولحقَ أبو قتادةَ فارسُ رسولِ الله ﷺ بعبدِ الرّحمنِ، فطعنهُ، فقتلهُ.

فوالّذي كرّمَ وجهَ محمّدٍ ﷺ؛ لتبعتهمْ أعدو على رجليَّ حتّى ما أرى ورائي منْ أصحابِ محمّدٍ ﷺ، ولا غبارهمْ شيئاً، حتّى يعدلوا قبلَ غروبِ الشّمسِ إلى شعبٍ فيهِ ماءٌ يقالُ لهُ: ذو قردٍ؛ ليشربوا منهُ، وهمْ عطاشٌ. فنظروا إليَّ أعدو وراءهمْ، فخلّيتهمْ عنهُ[1]، فما ذاقوا منهُ قطرةً.

ويخرجونَ، فيشتدّونَ في ثنيّةٍ، فأعدو، فألحقُ رجلاً منهمْ، فأصكّهُ بسهمٍ في نغضِ[2] كتفهِ.

قال: قلتُ:

خذها وأنا ابنُ الأكوعِ ... واليومُ يومُ الرّضّعِ

---

(١) أيْ: طردتهمْ عنهُ.

(٢) النّغضُ: أعلى الكتف. وقيلَ: هوَ العظم الرّقيقُ الّذي على طرفه. النهاية [٥/ ٨٧].

قالَ: يا ثكلتهُ أمّهُ، أكوعهُ بكرةَ[١]؟

قلتُ: نعمْ يا عدوَّ نفسهِ، أكوعكَ بكرةَ.

وأردوا فرسينِ على ثنيّةٍ[٢].

فجئتُ بهما أسوقهما إلى رسولِ الله ﷺ.

ولحقني عامرٌ بسطيحةٍ[٣] فيها مذقةٌ منْ لبنٍ، وسطيحةٍ فيها ماءٌ، فتوضّأتُ وشربتُ.

ثمَّ أتيتُ رسولَ الله ﷺ، وهوَ على الماءِ الّذي حلّأتهمْ عنهُ، فإذا رسولُ الله ﷺ قدْ أخذَ تلكَ الإبلَ، وكلَّ شيءٍ استنقذتهُ منَ المشركينَ، وكلَّ رمحٍ وبردةٍ.

وإذا بلالٌ نحرَ ناقةً منَ الإبلِ الّذي استنقذتُ منَ القومِ، وإذا هوَ يشوي لرسولِ الله ﷺ منْ كبدها وسنامها.

قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ القومَ عطاشٌ، وإنّي أعجلتهمْ أنْ يشربوا سقيهمْ، خلّني، فأنتخبُ منَ القومِ مائةَ رجلٍ، فأتّبعُ القومَ، فلا يبقى منهمْ مخبرٌ إلّا قتلتهُ.

فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتّى بدتْ نواجذهُ في ضوءِ النّارِ.

فقالَ: «**يا سلمةُ أتراكَ كنتَ فاعلاً؟**».

قلتُ: نعمْ، والّذي أكرمكَ.

فقالَ: «**يا ابنَ الأكوعِ، ملكتَ؛ فأسجحْ**[٤]**، إنهّمْ الآنَ ليقرونَ في أرضِ غطفانَ**».

فجاءَ رجلٌ منْ غطفانَ فقالَ: نحرَ لهمْ فلانٌ جزوراً، فلمّا كشفوا جلدها رأوا غباراً، فقالوا: أتاكمُ القومُ، فخرجوا هاربينَ.

---

(١) أيْ: أنتَ الأكوع الّذي كنت بكرة هذا النّهار.

(٢) معناهُ: أتعبوهما حتّى أسقطوهما وتركوهما.

(٣) السّطيحة: إناء منْ جلود سطحَ بعضها على بعض، والمذقة: قليل منْ لبن ممزوج بماءٍ. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٨١].

(٤) والمعنى: قدرت فاعفُ، والسّجاحةُ السّهولةُ. فتح الباري [٧/ ٤٦٣].

فلـمّا أصبحنـا قـالَ رسـولُ الله ﷺ: «**كانَ خيرَ فرسـاننا اليومَ أبـو قتادةَ، وخـيرَ رجّالتنا سلمةُ**»[١].

ثمَّ أعطاني رسولُ الله ﷺ سهمينِ: سهمَ الفارسِ، وسهمَ الرّاجلِ، فجمعهما لي جميعاً[٢].

ثمَّ أردفني رسولُ الله ﷺ وراءهُ على العضباءِ راجعينَ إلى المدينةِ.

فبينما نحنُ نسـيرُ، وكانَ رجلٌ منَ الأنصارِ لا يسبقُ شدّاً[٣]، فجعلَ يقولُ: ألا مسابقٌ إلى المدينةِ، هلْ منْ مسابقٍ.

فجعلَ يعيدُ ذلكَ.

فلمّا سمعتُ كلامهُ، قلتُ: أما تكرمُ كريماً، ولا تهابُ شريفاً.

قالَ: لا، إلّا أنْ يكونَ رسولَ الله ﷺ.

قلتُ: يا رسولَ الله بأبي وأمّي، ذرني فلأسابقَ الرّجلَ.

قالَ: «**إنْ شئتَ**».

قلتُ: اذهبْ إليكَ.

وثنيتُ رجليَّ، فطفرتُ[٤] فعدوتُ، فربطتُ عليهِ شرفاً[٥] أوْ شرفينِ، أستبقي نفسي.

---

(١) فيهِ: استحباب الثّناء على الشّجعان وسائر أهل الفضائل لا سيّما عند صنيعهمْ الجميل، لما فيهِ منْ الترّغيب لهمْ ولغيرهمْ في الإكثار منْ ذلكَ الجميل، وهذا كلّه في حقّ منْ يأمن الفتنة عليهِ بإعجابٍ ونحوه. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٨٢].

(٢) قال النووي: هذا محمول على أنَّ الزائد على سهم الرّاجل كانَ نفلًا، وهوَ حقيق باستحقاقِ النّفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لبديعِ صنعه في هذهِ الغزوة.

شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٨٣].

(٣) يعني: عدواً على الرّجلينِ.

(٤) أيْ: وثبت وقفزت.

(٥) الشرّف: ما ارتفعَ منْ الأرض، والمعنى: حبست نفسي عنِ الجري الشّديد لئلاّ يقطعني البهر. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٨٣].

ثمَّ عدوتُ في إثرِهِ، فربطتُ عليهِ شرفاً، أوْ شرفينِ.

ثمَّ إنّي رفعتُ حتّى ألحقهُ، فأصكّهُ بينَ كتفيه.

قلتُ: قدْ سبقتَ والله.

قالَ: أنا أظنُّ.

فسبقتهُ إلى المدينةِ.

فوالله ما لبثنا إلّا ثلاثَ ليالٍ، حتّى خرجنا إلى خيبرَ معَ رسولِ الله ﷺ.

فجعلَ عمّي عامرٌ يرتجزُ بالقومِ:

تــالله لــولا الله مــا اهتدينا ولا تــصــدّقــنــا ولا صلّينا
ونحنُ عنْ فضلكَ ما استغنينا فــثــبّــتِ الأقـــدامَ إنْ لاقينا
وأنـــزلـــنْ ســكــيــنــةً علينا

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**منْ هذا؟**».

قالَ: أنا عامرٌ.

قالَ: «**غفرَ لكَ ربّكَ**».

وما استغفرَ رسولُ الله ﷺ لإنسانٍ يخصّهُ إلّا استشهدَ.

فنادى عمرُ بنُ الخطّابِ وهوَ على جملٍ لهُ: يا نبيَّ الله لولا ما متّعتنا بعامرٍ.

فلمّا قدمنا خيبرَ، خرجَ ملكهمْ مرحبٌ يخطرُ بسيفهِ[1] ويقولُ:

قــدْ علمتْ خيبرُ أنّــي مرحبُ شاكي الــسّــلاحِ بطلٌ مجرّبُ
إذا الحـــروبُ أقبلتْ تلهّبُ

قالَ: وبرزَ لهُ عمّي عامرٌ فقالَ:

قــدْ علمتْ خيبرُ أنّــي عامرٌ شاكي الــسّــلاحِ بطلٌ مغامرٌ

(١) أيْ: يرفعهُ مرّة، ويضعهُ أخرى.

فاختلفا ضربتينِ، فوقعَ سيفُ مرحبٍ في ترسِ عامرٍ، وذهبَ عامرٌ يسفلُ لهُ[١]، فرجعَ سيفهُ على نفسهِ، فقطعَ أكحلهُ، فكانتْ فيها نفسهُ.

فخرجتُ، فإذا نفرٌ منْ أصحابِ النّبيِّ ﷺ يقولونَ: بطلَ عملُ عامرٍ، قتلَ نفسهُ.

فأتيتُ النّبيَّ ﷺ وأنا أبكي، فقلتُ: يا رسولَ الله بطلَ عملُ عامرٍ.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**منْ قالَ ذلكَ**».

قلتُ: ناسٌ منْ أصحابكَ.

قالَ: «**كذبَ منْ قالَ ذلكَ، بلْ لهُ أجرهُ مرّتينِ -وجمعَ بينَ إصبعيهِ-، إنّهُ لجاهدٌ مجاهدٌ، قلَّ عربيٌّ مشى بها مثلهُ**»[٢].

ثمَّ أرسلني إلى عليٍّ، وهوَ أرمدُ، فقالَ: «**لأعطينَّ الرّايةَ رجلاً يحبُّ الله ورسولهُ، أوْ يحبّهُ الله ورسولهُ**».

فأتيتُ عليّاً، فجئتُ بهِ أقودهُ، وهوَ أرمدُ، حتّى أتيتُ بهِ رسولَ الله ﷺ، فبسقَ في عينيهِ، فبرأَ، وأعطاهُ الرّايةَ.

وخرجَ مرحبٌ فقالَ:

قدْ علمتْ خيبرُ أنّي مرحبُ شاكي السّلاحِ بطلٌ مجرّبُ
إذا الحروبُ أقبلتْ تلهّبُ

فقالَ عليٌّ:

أنا الّذي سمّتني أمّي حيدرهْ[٣] كليثِ غاباتٍ كريهِ المنظرهْ
أوفيهمُ بالصّاعِ كيلَ السّندرهْ[٤]

---

(١) أيْ: يضربهُ منْ أسفله.

(٢) معناهُ: قلَّ عربيّ يشبههُ في جميع صفات الكمال. وفسّروا الجاهدُ بالجادِّ في علمه وعمله، أيْ: لجادٌّ في طاعة الله، والمجاهد في سبيل الله، وهوَ الغازي، وقيل: جمعَ اللّفظينِ توكيداً. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٦٩].

(٣) حيدرة اسم للأسدِ، وكانتْ أمّ عليّ سمّتهُ أوّل ولادته أسداً باسمِ جدّه لأمّهِ أسد بن هشام بن عبد منافٍ، وكانَ أبو طالب غائباً فلمّا قدمَ سمّاهُ عليّاً. شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٨٥].

(٤) معناهُ: أقتل الأعداء قتلًا واسعاً ذريعاً، والسّندرة: مكيال واسع.

فضربَ رأسَ مرحبٍ، فقتلهُ، ثمَّ كانَ الفتحُ على يديه[١].

قال النووي: «في هذا الحديث أربعُ معجزاتٍ لرسولِ الله ﷺ:

إحداها: تكثيرُ ماءِ الحديبيةِ.

والثّانيةُ: إبراءُ عينِ عليٍّ رضي الله عنه.

والثّالثةُ: الإخبارُ بأنّهُ يفتحُ الله على يديهِ.

والرّابعةُ: إخباره ﷺ بأنّهمْ يقرونَ في غطفان، وكانَ كذلكَ»[٢].

وكانَ يقرّهم على استنباطاتهم البديعةِ:

عن حنشِ بنِ المعتمرِ أنَّ عليّاً رضي الله عنه كانَ باليمنِ، فاحتفروا زبيةً[٣] للأسدِ، فوقعَ فيها الأسدُ، فبينا هم يتطلعون فيها إذْ سقطَ رجلٌ، فتعلّقَ بآخرَ، وتعلّقَ الآخرُ بآخرَ، وتعلّقَ الآخرُ بآخرَ، وتعلّقَ الآخرُ بآخرَ حتّى صاروا أربعةً، فجرحهمْ الأسدُ فيها.

فانتدبَ لهُ رجلٌ بحربةٍ، فقتلهُ، وماتوا منْ جراحتهمْ كلّهمْ.

قالَ: فتنازعوا في ذلكَ حتّى أخذوا السّلاحَ.

فأتاهمْ عليٌّ رضي الله عنه، فقالَ: تريدونَ أنْ تقاتلوا، ورسولُ الله ﷺ حيٌّ، إنّي أقضي بينكمْ قضاءً إنْ رضيتمْ فهوَ القضاءُ، وإلّا حجزَ بعضكمْ عنْ بعضٍ حتّى تأتوا النّبيَّ ﷺ، فيكونَ هوَ الّذي يقضي بينكمْ، فمنْ عدا بعدَ ذلكَ فلا حقَّ لهُ، اجمعوا منْ قبائلِ الّذينَ حفروا البئرَ ربعَ الدّيةِ، وثلثَ الدّيةِ، ونصفَ الدّيةِ، والدّيةَ كاملةً، فقضى للأوّلِ ربعَ ديةٍ، وللثّاني ثلثَ ديةٍ، وللثّالثِ نصفَ ديةٍ، وللرّابعِ الدّيةَ كاملةً.

قالَ: فرضيَ بعضهمْ، وكرهَ بعضهمْ، فارتفعوا إلى النّبيِّ ﷺ، فأتوا النّبيَّ ﷺ، وهوَ عندَ مقامِ إبراهيمَ، فقصّوا عليهِ القصّةَ.

---

(١) رواه مسلم [١٨٠٧].

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ١٨٦].

(٣) وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده، ويغطى رأسها بما يسترها ليقعَ فيها. النهاية [٢/ ٢٩٥]

فقالَ: «**أنا أقضي بينكمْ**» واحتبى.

فقالَ رجلٌ منَ القومِ: إنَّ عليّاً قضى فينا، فقصّوا عليهِ القصّةَ، فأجازهُ رسولُ الله ﷺ[١].

وذلك لأن هؤلاءِ الأربعةَ المقتولينَ خطأً بالتدافعِ على الحفرةِ من الحاضرين عليها، لهم الدّياتُ على من حضرَ على وجهِ الخطأ.

والأوّلُ مقتولٌ بالمدافعةِ، وهو قاتلٌ ثلاثةً بالمجاذبةِ، فله الديةُ بما قتلَ، وعليه ثلاثةُ أرباعِ الدّيةِ بالثلاثةِ الذين قتلهم.

وأما الثاني فله ثلثُ الديةِ، وعليه الثلثانِ بالاثنين اللّذينِ قتلهما بالمجاذبةِ.

وأما الثالثُ فله نصفُ الدّيةِ، وعليه النّصفُ؛ لأنه قتل واحداً بالمجاذبة.

والرابعُ له الدّيةُ كاملةً؛ لأنّهُ لم يقتلْ أحداً.

قال ابن العربي: «وهذا من بديعِ الاستنباط»[٢].

وقد أولى النبيُّ ﷺ ابنَ عمّه عبدَ الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اهتماماً بالغاً؛ لما تمتّع به من صفاتٍ تدلُّ على النبوغِ والذكاءِ.

عنْ عبد الله بنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: ضمّني النّبيُّ ﷺ إلى صدرهِ، وقال: «**اللهمَّ، علّمهُ الحكمةَ**»[٣].

وفي رواية: دخل النّبيُّ ﷺ الخلاءَ، فوضعتُ لهُ وضوءاً، فقالَ: «**منْ وضعَ هذا؟**» فأخبرَ. فقالَ: «**اللهمَّ، فقّههُ في الدّينِ**»[٤].

وفي روايةٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ في بيتِ ميمونةَ، فوضعتُ لهُ وضوءاً منَ اللّيلِ. قالَ فقالتْ ميمونةُ: يا رسولَ الله وضعَ لكَ هذا عبدُ الله بنُ عبّاسٍ.

---

(١) رواه أحمد [٥٧٤]، وحسّنه الألباني في الصحيحة [٢/ ٤٧٨].

(٢) أحكام القرآن [٤/ ٤٤] لابن العربي.

(٣) رواه البخاري [٣٧٥٦].

(٤) رواه البخاري [١٤٣]، ومسلم [٢٤٧٧].

فقالَ: «**اللهمَّ، فقّهْ في الدّينِ، وعلّمهُ التّأويلَ**»(١).

قال النوويُّ: «**فيهِ**: فضيلةُ الفقهِ، واستحبابُ الدّعاءِ لمنْ عملَ عملاً خيّراً معَ الإنسان.

وفيهِ: إجابةُ دعاءِ النّبيِّ ﷺ لهُ، فكانَ منَ الفقه بالمحلِّ الأعلى»(٢).

قالَ ابن المنير: «مناسبةُ الدّعاءِ لابنِ عبّاس بالتّفقّهِ على وضعهِ الماءَ منْ جهة أنّهُ تردّدَ بين ثلاثةِ أمورٍ:

إمّا أنْ يدخلَ إليهِ بالماءِ إلى الخلاء، أوْ يضعهُ على الباب؛ ليتناولهُ منْ قرب، أوْ لا يفعل شيئاً، فرأى الثّاني أوفقَ؛ لأنَّ في الأوّلِ تعرّضاً للاطّلاعِ، والثّالثُ يستدعي مشقّةً في طلبِ الماءِ، والثّاني أسهلها، ففعلهُ يدلُّ على ذكائهِ؛ فناسبَ أنْ يدعو لهُ بالتّفقّهِ في الدّين؛ ليحصل بهِ النّفع، وكذا كانَ»(٣).

فكان ابنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشهرِ مفسّري الصحابةِ، مع أنّهُ كانَ أصغرهم سنّاً، فقد ولدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل هجرةِ رسولِ الله ﷺ إلى المدينةِ بثلاثِ سنواتٍ، ولازمَ رسولَ الله ﷺ منذُ نعومةِ أظفارهِ، وذلك لقرابته من رسولِ الله ﷺ، وقرابته من ميمونةَ زوجِ النبيِّ صلى الله عليه. وكيفَ لا يكون كذلك، وقد دعا لهُ الرسولُ ﷺ..؟!

وتوفّي رسول الله ﷺ وسنّهُ ثلاثَ عشرةَ سنةً.

وكان ابنُ مسعود يقول: «نعمَ ترجمانِ القرآن ابنُ عبّاسٍ»(٤).

وقال ابن عمر: «هوَ أعلم النّاس بما أنزلَ الله على محمّد»(٥).

وكان ﷺ يردفه خلفه على الدّابّة:

فعنْ عبدِ الله بنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كنتُ خلفَ رسولِ الله ﷺ يوماً، فقالَ: «**يا غلامُ، إنّي**

---

(١) رواه أحمد [٣٠٢٤].

(٢) شرح النووي على مسلم [١٦/ ٣٧].

(٣) فتح الباري [١/ ٢٣٢].

(٤) رواه الحاكم في المستدرك [٦٢٩١].

(٥) رواه الآجري في الشريعة [٥/ ٢٢٧١].

أعلّمكَ كلماتٍ: احفظِ الله يحفظكَ، احفظِ الله تجدهُ تجاهكَ، [تعرّفْ إليهِ في الرّخاءِ؛ يعرفكَ في الشّدّةِ] إذا سألتَ؛ فاسألْ الله، وإذا استعنتَ؛ فاستعنْ بالله.

واعلمْ أنَّ الأمّةَ لوِ اجتمعتْ على أنْ ينفعوكَ بشيءٍ؛ لمْ ينفعوكَ إلّا بشيءٍ قدْ كتبهُ الله لكَ، ولوِ اجتمعوا على أنْ يضرّوكَ بشيءٍ؛ لمْ يضرّوكَ إلّا بشيءٍ قدْ كتبهُ الله عليكَ.

رفعتِ الأقلامُ، وجفّتِ الصّحفُ [واعلمْ أنَّ في الصّبرِ على ما تكرهُ خيراً كثيراً، وأنَّ النّصرَ معَ الصّبرِ، وأنَّ الفرجَ معَ الكربِ، وأنَّ معَ العسرِ يسراً]»[1].

وقد تجلّى هذا النبوغُ منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعرفَ ذلك أميرُ المؤمنين عمرُ، فكانَ يدنيهِ منه، ويقرّبهُ إليه.

عنْ عبد الله بنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كانَ عمرُ يدخلني معَ أشياخِ بدرٍ[2]، فكأنَّ بعضهمْ وجدَ في نفسهِ، فقالَ: لمَ تدخلُ هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثلهُ؟

فقالَ: إنّهُ منْ قدْ علمتمْ[3].

فدعاهمْ ذاتَ يومٍ، ودعاني معهمْ، وما رئيتهُ دعاني يومئذٍ إلّا ليريهمْ منّي.

فقالَ: ما تقولونَ في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ...﴾؟ حتّى ختمَ السّورةَ.

فقالَ بعضهمْ: أمرنا أنْ نحمدَ الله، ونستغفرهُ إذا نصرنا، وفتحَ علينا.

وفي رواية: قالوا: فتح المدائنِ والقصورِ.

وقالَ بعضهمْ: لا ندري.

فقالَ لي: يا ابنَ عبّاسٍ، أكذاكَ تقولُ؟.

---

(١) رواه الترمذي [٢٥١٦]، وأحمد [٢٨٠٠]، والزيادتان له، وصحّحه الألباني بزياداته في الصحيحة [٢٣٨٢].

(٢) وكانتْ عادة عمر إذا جلسَ للنّاسِ أنْ يدخلوا عليهِ على قدر منازلهمْ في السّابقة، وكانَ ربّما أدخلَ معَ أهل المدينة منْ ليسَ منهمْ إذا كانَ فيهِ مزيّة تجبر ما فاتهُ منْ ذلكَ.

(٣) أشارَ بذلكَ إلى قرابته منَ النّبيّ ﷺ، أوْ إلى معرفته، وفطنته. فتح الباري [٨/ ٧٣٥].

قلتُ: لا.

قالَ: فما تقولُ؟

قلتُ: هوَ أجلُ رسولِ الله ﷺ أعلمهُ الله لهُ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتحُ مكّةَ، فذاكَ علامةُ أجلكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

قالَ: عمرُ ما أعلمُ منها إلّا ما تعلمُ[١].

وفيهِ فضيلةٌ ظاهرةٌ لابنِ عبّاس، وتأثيرٌ لإجابةِ دعوةِ النّبيِّ ﷺ أنْ يعلّمهُ الله التّأويلَ، ويفقّههُ في الدّينِ[٢].

قال النوويُّ: «وأمّا ابنُ عبّاسٍ فمحلّهُ منَ العلم، والفقه في الدّين، والفهمِ الثّاقبِ معروفٌ، معَ كثرة بحثه، وتحفّظهِ أحوالَ رسول الله ﷺ الّتي لمْ يحفظها غيرهُ، وأخذهِ إيّاها منْ كبارِ الصّحابة»[٣].

ولقد كان يجالس يوماً، ولا يذكرُ فيه إلاّ الفقهَ، ويوماً التأويلَ، ويوماً المغازيَ، ويوماً الشّعرَ، ويوماً أيّامَ العربِ[٤].

وروى يعقوب بإسنادٍ صحيح كما قال الحافظ ابن حجر عنْ أبي وائل قالَ: «قرأَ ابنُ عبّاسٍ سورةَ النّورِ، ثمَّ جعلَ يفسّرها، فقالَ رجل: لوْ سمعتْ هذا الدّيلمُ لأسلمتْ»[٥].

وكان آيةً في الحفظِ، أنشدهُ ابنُ أبي ربيعةَ قصيدتهُ التي مطلعها:

أمنْ آلِ نعمٍ أنتَ غادٍ فمبكرُ...

فحفظها في مرّةٍ واحدةٍ، وهي ثمانون بيتاً[٦].

---

(١) رواه البخاري [٤٢٩٤].

(٢) فتح الباري [٨/ ٧٣٦].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [٤/ ٢٩٠].

(٤) الأعلام [٤/ ٩٥] للزركلي.

(٥) فتح الباري [٧/ ١٠٠].

(٦) الأعلام [٤/ ٩٥] للزركلي.

ومن النوابغ الذين كان للنبيِّ ﷺ عنايةٌ بهم: عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال عنه الذهبي: «كانَ منَ السّابقينَ الأوّلينَ، ومنَ النّجباءِ العالمينَ»(١).

وقال: «كان معدوداً في أذكياءِ العلماءِ»(٢).

عن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبدُ الله بنُ مسعودٍ، فقالَ: والله لقدْ أخذتُ منْ في رسولِ الله ﷺ بضعاً، وسبعينَ سورةً، والله لقدْ علمَ أصحابي أنّي منْ أعلمهمْ بكتابِ اللهِ، وما أنا بخيرهمْ.

قالَ شقيقٌ: فجلستُ في الحلقِ أسمعُ ما يقولونَ، فما سمعتُ رادّاً يقولُ غيرَ ذلكَ(٣).

وقد طلب منه ﷺ أن يقرأ عليه شيئاً من القرآنِ، فقرأ عليه من أوّل سورةِ النساءِ.

عنْ عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ لي النّبيُّ ﷺ: «**اقرأْ عليَّ**».

قلتُ: يا رسولَ اللهِ، آقرأُ عليكَ، وعليكَ أنزلَ؟

قالَ: «**نعمْ**».

فقرأتُ سورةَ النّساءِ حتّى أتيتُ إلى هذهِ الآيةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

قالَ: «**حسبكَ الآنَ**».

فالتفتُّ إليهِ فإذا عيناهُ تذرفانِ(٤).

وأرشد النبي ﷺ إلى أخذ القرآن عنه، فقال: «**خذوا القرآنَ منْ أربعةٍ: منِ ابنِ أمِّ عبدٍ - فبدأَ بهِ -، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وأبيِّ بنِ كعبٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفةَ**»(٥).

---

(١) سير أعلام النبلاء [١/ ٤٦١].

(٢) سير أعلام النبلاء [١/ ٤٦٢].

(٣) رواه البخاري [٥٠٠٠]، ومسلم [٢٤٦٢].

(٤) رواه البخاري [٥٠٥٠]، ومسلم [٨٠٠].

(٥) رواه البخاري [٣٨٠٦]، ومسلم [٢٤٦٤].

أيْ: تعلّموهُ منهما، والأربعة المذكورونَ، اثنانِ منَ المهاجرينَ، وهما المبدأ بهما، واثنانِ منَ الأنصارِ، وسالمٌ هوَ ابن معقل مولى أبي حذيفة.

قالَ العلماء: سببه أنَّ هؤلاءِ أكثر ضبطاً لألفاظهِ، وأتقنُ لأدائهِ، وإنْ كانَ غيرهمْ أفقهَ في معانيه منهمْ.

أوْ لأنَّ هؤلاءِ الأربعةَ تفرّغوا لأخذهِ منهُ ﷺ مشافهةً، وغيرهمُ اقتصروا على أخذِ بعضهمْ منْ بعضٍ.

أوْ لأنَّ هؤلاءِ تفرّغوا لأنْ يؤخذَ عنهمْ.

أوْ أنّهُ ﷺ أرادَ الإعلامَ بما يكونُ بعدَ وفاتهِ ﷺ منْ تقدّمِ هؤلاءِ الأربعةِ وتمكّنهمْ، وأنّهمْ أقعدُ منْ غيرهمْ في ذلكَ، فليؤخذْ عنهمْ[1].

وعنْ عبدِ الله بنِ مسعودٍ أنَّ أبا بكرٍ، وعمرَ بشّراهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**منْ أحبَّ أنْ يقرأَ القرآنَ غضّاً كما أنزلَ؛ فليقرأْهُ على قراءةِ ابنِ أمِّ عبدٍ**»[2].

ومن النابغين في الحفظ: أبو هريرة رضي الله عنه.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: إنّكمْ تقولونَ إنَّ أبا هريرةَ يكثرُ الحديثَ عنْ رسولِ الله ﷺ، وتقولونَ: ما بالُ المهاجرينَ والأنصارِ لا يحدّثونَ عنْ رسولِ الله ﷺ بمثلِ حديثِ أبي هريرةَ؟

وإنَّ إخوتي منَ المهاجرينَ كانَ يشغلهمْ صفقٌ بالأسواقِ، وكنتُ ألزمُ رسولَ الله ﷺ على ملءِ بطني، فأشهدُ إذا غابوا، وأحفظُ إذا نسوا، وكانَ يشغلُ إخوتي منَ الأنصارِ عملُ أموالهمْ، وكنتُ امرأً مسكيناً منْ مساكينِ الصّفّةِ، أعي حينَ ينسونَ.

وقدْ قالَ رسولُ الله ﷺ في حديثٍ يحدّثهُ: «**إنّهُ لنْ يبسطَ أحدٌ ثوبهُ حتّى أقضيَ مقالتي هذهِ، ثمَّ يجمعَ إليهِ ثوبهُ؛ إلّا وعى ما أقولُ**».

فبسطتُ نمرةً عليَّ.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ١٨].

(٢) رواه ابن ماجه [١٣٨]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٥٩٦١].

حتّى إذا قضى رسولُ الله ﷺ مقالتهُ جمعتها إلى صدري، فما نسيتُ منْ مقالةِ رسولِ الله ﷺ تلكَ منْ شيءٍ(١).

قال الذهبي: «وكانَ حفظُ أبي هريرةَ الخارقُ منْ معجزاتِ النّبوّةِ»(٢).

وعنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنّي أسمعُ منكَ حديثاً كثيراً أنساهُ.

قالَ: «**ابسطْ رداءكَ**».

فبسطتهُ.

فغرفَ بيديهِ، ثمَّ قالَ: «**ضمّهُ**».

فضممتهُ، فما نسيتُ شيئاً بعدهُ(٣).

قالَ ابن حجر: «لمْ يذكرِ المغروفَ منهُ، وكأنّها كانتْ إشارةً محضةً»(٤).

قال ابن حجر: «في هذينِ الحديثينِ فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي هريرةَ، ومعجزةٌ واضحةٌ منْ علاماتِ النّبوّةِ؛ لأنَّ النّسيانَ منْ لوازمِ الإنسانِ، وقدِ اعترفَ أبو هريرةَ بأنّهُ كانَ يكثرُ منهُ، ثمَّ تخلّفَ عنهُ ببركةِ النّبيِّ ﷺ»(٥).

وكان النبيُّ ﷺ يشيدُ بحرصه على التعلّم: عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ قالَ: يا رسولَ اللهِ، منْ أسعدُ النّاسِ بشفاعتكَ يومَ القيامةِ؟

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لقدْ ظننتُ يا أبا هريرةَ، أنْ لا يسألني عنْ هذا الحديثِ أحدٌ أوّلُ منكَ؛ لما رأيتُ منْ حرصكَ على الحديثِ، أسعدُ النّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ منْ قالَ: لا إلهَ إلّا الله خالصاً منْ قلبهِ**»(٦).

---

(١) رواه البخاري [٢٠٤٧]، ومسلم [٢٤٩٢].

(٢) سير أعلام النبلاء [٢/ ٢٩٤].

(٣) رواه البخاري [١١٩].

(٤) فتح الباري [١/ ٢١٥].

(٥) فتح الباري [١/ ٢١٥].

(٦) رواه البخاري [٩٩].

ومنهم أبيُّ بنُ كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أرشد النبيُّ ﷺ -كما تقدم- بأن يؤخذ القرآن من أربعةٍ، وذكرَ منهم أبي بن كعب.

وقال عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليٌّ أقضانا وأبيٌّ أقرؤنا»[١].

وأرشده النبيُّ ﷺ إلى أن يفتحَ عليه في القراءة إذا لبس عليه أو نسي:

فعنْ عبدِ الله بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النّبيَّ ﷺ صلّى صلاةً، فقرأَ فيها، فلبسَ عليهِ، فلمّا انصرفَ قالَ لأبيٍّ: «**أصلّيتَ معنا؟**».

قالَ: نعمْ.

قالَ: «**فما منعكَ أنْ تفتحها عليَّ؟**»[٢].

وفي الحديثِ: مشروعيّةُ الفتحِ على الإمام، فعندَ نسيانِ الإمامِ الآيةَ في القراءةِ الجهريّةِ يكونُ الفتحُ عليهِ بتذكيرِهِ تلكَ الآيةَ، وعندَ نسيانهِ لغيرها منَ الأركانِ يكونُ الفتحُ بالتّسبيحِ للرّجالِ، والتّصفيقِ للنّساءِ[٣].

ولذا فقد عيّن عمرُ أبيّاً إماماً لصلاة التراويح:

فعنْ عبدِ الرّحمنِ بنِ عبدٍ القاريِّ أنّهُ قالَ: خرجتُ معَ عمرَ بنِ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلةً في رمضانَ إلى المسجدِ، فإذا النّاسُ أوزاعٌ متفرّقونَ، يصلّي الرّجلُ لنفسهِ ويصلّي الرّجلُ، فيصلّي بصلاتهِ الرّهطُ.

فقالَ عمرُ: إنّي أرى لوْ جمعتُ هؤلاءِ على قارئٍ واحدٍ لكانَ أمثلَ.

ثمَّ عزمَ، فجمعهمْ على أبيِّ بنِ كعبٍ، ثمَّ خرجتُ معهُ ليلةً أخرى، والنّاسُ يصلّونَ بصلاةِ قارئهمْ.

---

(١) رواه الإمام أحمد [٢٠٥٨١].

(٢) رواه أبو داود [٩٠٧]، وابن حبان [٢٢٤٢]، وصححه النووي في المجموع [٤/ ٤٢١]، والألباني في صفة الصلاة [٢/ ٥٩٦].

(٣) نيل الأوطار [٢/ ٣٨٠].

قـالَ عمرُ: نعـمَ البدعةُ هـذهِ، والّتي ينامونَ عنها أفضـلُ منَ الّتي يقومـونَ - يريدُ آخرَ اللّيلِ، وكانَ النّاسُ يقومونَ أوّلهُ[١].

تنبيه: قسّـم قومٌ البدعةَ إلى بدعةٍ حسنةٍ، وبدعةٍ سيّئةٍ؛ مستدلّينَ بقول عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعمَ البدعةُ هذهِ»، ويجابُ بأن المرادَ هنا البدعةُ اللّغويّةُ، وليس البدعة في الدّينِ؛ فالبدعُ في الدين كلّها ضلالةٌ كما قال ﷺ: «**وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ [وكلُّ ضلالةٍ في النّارِ]**»[٢].

ومن النابغين في الخبرة العسكرية: خالدُ بنُ الوليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قـال الذهبيُّ فيه: «سـيفُ الله تعالى، وفارسُ الإسـلامِ، وليثُ المشـاهدِ، السّـيّدُ الإمامُ، الأميرُ الكبيرُ، قائدُ المجاهدينَ.

سـمّاهُ النّبـيُّ ﷺ سـيفَ الله فقـالَ: «**خالد بنُ الوليد سـيفٌ منْ سـيوفِ الله سـلّه الله على المشركين**»[٣].

وشـهدَ الفتحَ، وحنيناً، وتأمّرَ في أيّامِ النّبيِّ ﷺ، واحتبسَ أدراعهُ، ولامتهُ في سـبيلِ الله، وحاربَ أهلَ الرّدّةِ، ومسـيلمةَ، وغزا العراقَ، وشـهدَ حروبَ الشّامِ، ولمْ يبقَ في جسدهِ قيدُ شبرٍ إلاّ وعليهِ طابعُ الشّهداءِ.

ومناقبـهُ غزيـرةٌ، أمّرهُ الصّدّيقُ على سـائرِ أمراءِ الأجنادِ، وحاصرَ دمشـقَ، فافتتحها هوَ وأبو عبيدةَ.

عاشَ ستّينَ سنةً، وقتلَ جماعةً منَ الأبطالِ، وماتَ على فراشهِ، فلاَ قرّتْ أعينُ الجبناءِ.

توفّيَ بحمصَ، سنةَ إحدى وعشرينَ»[٤].

عـن أبي قتـادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فارسِ رسـولِ الله ﷺ قالَ: بعثَ رسـولُ الله ﷺ جيـشَ الأمراءِ، وقـالَ: «**عليكـمْ زيدُ بـنُ حارثةَ، فإنْ أصيـبَ زيدٌ فجعفرٌ، فـإنْ أصيبَ جعفـرٌ فعبدُ الله بنُ رواحةَ الأنصاريُّ**».

---

(١) رواه البخاري [٢٠١٠].

(٢) رواه مسلم [٨٦٧]، والنسائي [١٥٧٨]، والزيادة له، وإسنادها صحيح.

(٣) رواه ابن عساكر [١٦/ ٢٤١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٣٢٠٨].

(٤) سير أعلام النبلاء [١/ ٣٦٧].

فوثبَ جعفرٌ، فقالَ: بأبي أنتَ يا نبيَّ الله وأمّي: ما كنتُ أرهبُ أنْ تستعملَ عليَّ زيداً.

قالَ: «**امضوا، فإنّكَ لا تدري أيٌّ ذلكَ خيرٌ**».

فانطلقَ الجيشُ، فلبثوا ما شاءَ الله، ثمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ صعدَ المنبرَ، وأمرَ أنْ ينادى: الصّلاةُ جامعةٌ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**نابَ خيرٌ، أوْ ثابَ خيرٌ، ألا أخبركمْ عنْ جيشكمْ هذا الغازي؟ إنّهمُ انطلقوا حتّى لقوا العدوَّ، فأصيبَ زيدٌ شهيداً، فاستغفروا لهُ**».

فاستغفرَ لهُ النّاسُ.

قال: «**ثمَّ أخذَ اللّواءَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، فشدَّ على القومِ حتّى قتلَ شهيداً، أشهدُ لهُ بالشّهادةِ، فاستغفروا لهُ.**

ثمَّ أخذَ اللّواءَ عبدُ الله بنُ رواحةَ، فأثبتَ قدميهِ حتّى أصيبَ شهيداً، فاستغفروا لهُ.

ثمَّ أخذَ اللّواءَ خالدُ بنُ الوليدِ. ولمْ يكنْ منْ الأمراءِ هوَ أمّرَ نفسهُ».

فرفعَ رسولُ الله ﷺ أصبعيهِ، وقالَ: «**اللهمَّ هوَ سيفٌ منْ سيوفكَ، فانصرهُ، أو فانتصرْ بهِ**».

فيومئذٍ سمّيَ خالدٌ سيفَ الله.

ثمَّ قالَ النّبيُّ ﷺ: «**انفروا فأمدّوا إخوانكمْ، ولا يتخلّفنَّ أحدٌ**»، فنفرَ النّاسُ في حرٍّ شديدٍ مشاةً، وركباناً[1].

ومن النابغين في الشجاعةِ، والجرأةِ على القتال: معاذُ بنُ عمرو بنِ الجموحِ، ومعاذُ بنُ عفراءَ.

عنْ عبدِ الرّحمنِ بنِ عوفٍ قالَ: بينا أنا واقفٌ في الصّفِّ يومَ بدرٍ، فنظرتُ عنْ يميني، وعنْ شمالي، فإذا أنا بغلامينِ منَ الأنصارِ حديثةٍ أسنانهما، تمنّيتُ أنْ أكونَ بينَ أضلعَ منهما[2]

(١) رواه أحمد [٢٢٠٤٥]، وحسّنه الألباني في أحكام الجنائز [١/ ٣٣].

(٢) أي: أقوى.

فغمزني أحدهما، فقالَ: يا عمِّ هلْ تعرفُ أبا جهلٍ؟.

قلتُ: نعمْ، ما حاجتكَ إليهِ يا ابنَ أخي.

قالَ: أخبرتُ أنّهُ يسبُّ رسولَ الله ﷺ، والّذي نفسي بيدهِ لئنْ رأيتهُ لا يفارقُ سوادي سوادهُ حتّى يموتَ الأعجلُ منّا.

فتعجّبتُ لذلكَ.

فغمزني الآخرُ، فقالَ لي مثلها.

فلمْ أنشبْ أنْ نظرتُ إلى أبي جهلٍ يجولُ في النّاسِ، قلتُ: ألا إنَّ هذا صاحبكما الّذي سألتماني.

فابتدراهُ بسيفيهما، فضرباهُ حتّى قتلاهُ.

ثمَّ انصرفا إلى رسولِ الله ﷺ، فأخبراهُ.

فقالَ: «**أيّكما قتلهُ؟**».

قالَ كلُّ واحدٍ منهما: أنا قتلتهُ.

فقالَ: «**هلْ مسحتما سيفيكما؟**».

قالا: لا.

فنظرَ في السّيفينِ، فقالَ: «**كلاكما قتلهُ، سلبهُ لمعاذِ بنِ عمرو بنِ الجموحِ**».

وقضى بسلبهِ لمعاذِ بنِ عمرو بنِ الجموحِ.

والرّجلانِ: معاذُ بنُ عمرو بنِ الجموحِ، ومعاذُ بنُ عفراءَ[1].

قال ابن حجر: «اشتركَ هذانِ الرّجلانِ في جراحته، لكنَّ معاذ بن عمرو بن الجموح ثخنهُ أوّلاً فاستحقَّ السّلب، وإنّما قالَ النّبيّ ﷺ: «**كلاكما قتلهُ**»؛ تطييباً لقلبِ الآخر منْ

(١) رواه البخاري [٣١٤١]، ومسلم [١٧٥٢].

حيثُ إنَّ لهُ مشاركة في قتله، وإلّا فالقتل الشّرعيُّ الّذي يتعلّق بهِ استحقاق السّلب، وهوَ الإثخان، وإخراجه عنْ كونه متمنّعاً إنّما وجدَ منْ معاذ بن عمرو بن الجموح؛ فلهذا قضى لهُ بالسّلبِ.

ونظرهُ ﷺ في السّيفينِ واستلالهُ لهما هوَ ليرى ما بلغَ الدّمُ منْ سيفيهما، ومقدارَ عمقِ دخولهما في جسمِ المقتولِ؛ ليحكمَ بالسّلبِ لمنْ كانَ في ذلكَ أبلغُ.

ولذلكَ سألهما أوّلاً: «**هلْ مسحتما سيفيكما؟**»؛ لأنّهما لوْ مسحاهما لما تبيّنَ المرادُ منْ ذلكَ.

وقد جاء أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هوَ الّذي أجهزَ عليهِ، وأخذَ رأسه، ولهُ معهُ خبر معروف»[1].

قال النووي: «يحمل على أنَّ الثّلاثةَ اشتركوا في قتله، وكانَ الإثخان منْ معاذ بن عمرو بن الجموح، وجاءَ ابنُ مسعود بعد ذلكَ، وفيهِ رمقٌ، فحزَّ رقبته.

وفي هذا الحديث منَ الفوائد:

أنّهُ ينبغي أنْ لا يحتقرَ أحدٌ، فقدْ يكون بعضُ منْ يستصغرُ عنِ القيام بأمرٍ أكبرَ ممّا في النّفوس، وأحقَّ بذلكَ الأمرِ كما جرى لهذينِ الغلامينِ»[2].

---

(١) فتح الباري [٦/ ٢٤٨].

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم [١٢/ ٦٣].

العقلُ فاعلمْ زينةُ الفتيانِ والفهمُ للعقلاءِ كالتّيجانِ
كمْ منْ صغيرٍ ذي مواهبَ جمّةٍ فتفوحُ منهُ كأجملِ الرّيحانِ
يحتاجُ مكتشفاً، ومهتمّاً بهِ كيلا يضيعَ بعالمِ النّسيانِ
إنَّ النّبيَّ لهُ مزيدُ عنايةٍ بالنّابغينَ، وأبرزِ الصّبيانِ
لمّا رأى عقلاً، وحسنَ تصرّفٍ ما كانَ ذا ليمرَّ دونَ بيانِ
فبهِ أشادَ مشجّعاً، ومؤيّداً ليقابلَ الإحسانَ بالإحسانِ
كمْ ذا يخصّهمُ بعلمٍ زائدٍ ودعائهِ بالفهمِ في القرآنِ
بلْ كانَ يردفهمْ بكلِّ تواضعٍ فلينعموا منهُ بقربِ مكانِ
ومنشّطٌ أذهانهمْ بسؤالهِ إنَّ السّؤالَ منشّطُ الأذهانِ
ومشجّعٌ لهمُ بحسنِ ثنائهِ إنَّ الثّناءَ يلذُّ في الآذانِ
هذي مهاراتُ الصّغارِ تنوّعتْ كتنوّعِ الثّمراتِ في البستانِ
راعى تنوّعها النّبيُّ موظّفاً فيما يفيدُ مهارةَ الفتيانِ